مجلة روافد
للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية
المجلد 06 (عدد خاص) 2022 ص ص 331-346

الجهود التربوية لعبد الحميد بن باديس - المنهج والخصائص-

The educational efforts of Abdel Hamid bin Badis -Curriculum and Characteristics-

فتيحة عويقب*

جامعة سيدي بلعباس (الجزائر)

البريد الالكتروني المهني: fatiha.aouikab@univ-sba.dz

تاريخ الإيداع	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2022/02/06	2022/03/26	2022/04/16

الملخص: تهدف هذه الورقة البحثية إلى التعريف بشخصية العلاّمة عبد الحميد بن باديس، وإبراز أهم جهوده التربوية والتعليمية لاسيما فيما يخص منهجه وخصائص التعليم عنده. والإشارة إلى أهم الإصلاحات التربوية التي عرفها التعليم في عهد ابن باديس.

وفي الأخير تبين لنا الدور الكبير لابن باديس في نهضة الجزائر في العصر الحديث، خاصة بعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين التي تمكنت من تجسيد عملية الإصلاح التربوي على أرض الواقع.

الكلمات المفتاحية: *التربية؛ الجهود ؛ ابن باديس ؛ المنهج ؛الخصائص.*

Abstract

This research paper aims to introduce the personality of the scholar Abdel Hamid bin Badis, and to highlight his most important educational and educational efforts, especially with regard to his curriculum and the characteristics of his education. And a reference to the most important educational reforms in education during the era of Ibn BAdis

Finally, it became clear to us the great role of Ibn Badis in the renaissance of Algeria in the modern era, especially after the establishment of the Association of Muslim Scholars, with was able to embody the educational reform process on the ground

Keywords: *Education; Efforts ;Ibn Badis; Curriculum; Charactristics.*

*المؤلف المرسل

مقدمة:

أنجبت الجزائر علماء ومفكرين كان لهم دور بارز في الحركة الإصلاحية التربوية والاجتماعية، ولعّل من بينهم العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس، الذي كانت له جهود جبّارة في تحرير العقول الجزائرية من ربقة الجهل والأميّة والتخلف الفكري، التي تم غرسه من قبل الاستعمار الفرنسي.

ابن باديس هو أحد أبناء الأمّة الجزائرية، الذين رفضوا الاستعمار بكل أنواعه، وعمل على إنارة العقول من خلال مجموعة الإصلاحات التربوية، التي اتّبعها بغية نشر تعاليم الدين الإسلامي، وذلك بتعليم اللغة العربية لغة القرآن الكريم.

الإشكالية:

ومن هنا جاءت هذه الورقة البحثية للإجابة عن إشكالية، مثّلتها أسئلة جزئية أهمّها:

- من هو العلاّمة ابن باديس؟
- ما هي خصائص التعليم عند ابن باديس؟
- ما هو منهج ابن باديس في الإصلاح التربوي؟

المنهج المتبع:

وللإجابة عن هذه التساؤلات اتبعنا المنهج الوصفي، الذي استطعنا من خلاله وصف وتتبع أهم المراحل المميزة في حياة العلاّمة ابن باديس، بالإضافة إلى محاولة حصر خصائص منهج التعليم والإصلاح لديه.

أهداف البحث:

يمكن تلخيص أهداف البحث في النقاط التالية:

- التعريف بشخصية مهمّة وعالم من علماء الجزائر في العصر الحديث العلاّمة الفذ عبد الحميد بن باديس.

- تتبع أهمّ خصائص التعليم عند ابن باديس، مع الإشارة إلى مميزات التعليم في عصره.

- التنويه إلى أهم النقاط التي اهتم بها ابن باديس من أجل تحيق مشروعه الكبير، وهو الإصلاح التربوي والتعليمي.

1. ترجمة وجيزة للشيخ عبد الحميد بن باديس:

الاسم الكامل للشيخ البن باديس هو عبد الحميد بن محمد بن مكي بن باديس الصنهاجي، وينتهي نسبه إلى المعز بن باديس مؤسس الصنهاجية الأولى التي خلقت الأغالبة على مملكة القيروان. (منير الجزائري: 2017، ص12) ولد عبد الحميد بن باديس عام1889م الموافق ل1308ه في مدينة قسنطينة بشرق الجزائر، و لقد أظهر ابن باديس نبوغا مبكرا منذ التحاقه بالتعليم الابتدائي فأتمّ حفظ القرآن الكريم على يد الشيخ محمد بن المداسي ولم يتجاوز عمره أنذاك الثالثة عشر عاما من عمره (الجزار: 1999،ص20)، تعلم بجامع سيدي محمد النّجار بقسنطينة مبادئ العربية والمعارف الإسلامية على يد الشيخ أحمد أبوحمدان لونيسي الذي كان منتميا إلى الطريقة التجانية. (سالم: 1999،ص31)

سافر ابن باديس إلى تونس ودرس بجامع الزيتونة من 1908م إلى 1912م، ولقد أخذ العلم هناك من أساتذة وشيوخ كان لهم بالغ الأثر في تكوينه الفكري واتجاهه الإصلاحي منهم: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، محمد النخلي القيرواني، البشير صفّر، محمد رشيد رضا ومحمد بخيت المطيعي. (حميداتو: 1997، ص68) تأثر ابن باديس بالحركة الإصلاحية لجمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده، واقتفى أثرهما وسلك طريقهما في التربية والتعليم والإصلاح الديني واللغوي، ثم رجع إلى الجزائر، حيث بدأ جهوده التعليمية سنة1913م بإلقاء الدروس في الجامع الكبير بقسنطينة، وبدأ بتعليم أطفال الكتاتيب القرآنية، ثمّ توجه إلى إلقاء دروس مسجدية. (فلوسي: 2005، ص18)

يعد ابن باديس مدرسة أخلاقية بسلوكه وتصرفاته ومعاملاته، وكانت أقواله ونظرياته صورة صادقة لواقع حياته، وعصارة لأعماله ومعتقداته، وكان أسوة حسنة في التواضع والتسامح ونكران الذات، فقد تأثر كثيرا بأخلاق شيوخه، فكان لذلك تأثير كبير على منهاجه التعليمي التربوي. (حميداتو: 1997، ص124) من جانب آخر كان ابن باديس صحفيا من خلال مجلة المنتدى، السنّة، الصّرط، الشريعة، البصائر ومجلة الشّهاب. توفي ابن باديس بتاريخ 16 أفريل 1940م، ومن آثاره التي وصلت إلينا نذكر: (الجزائري: 2017، ص15) تفسير ابن باديس أو مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، من هدي النبوة أو مجالس التذكير من حديث البشير النذير، رجال السلف ونساؤه، القصص الهادف، العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، مبادئ الأصول...إلخ.

ولعّل النقاط التي سنتناولها، تعدّ دلائل واضحة على شخصية ابن باديس الرجل العربي المسلم المحب لوطنه والذي يسعى إلى تخليصه من مظاهر الجهل التي ظلّ المستعمر الفرنسي يحاول تكريسها داخل المجتمع الجزائري.

2. خصائص التعليم لدى عبد الحميد بن باديس:

بدأت الجهود التعليمية لدى عبد الحميد بن باديس بعد عودته من تونس سنة1913م، إذ كان مدركاً تماماً أنّ السبيل الوحيد لمقاومة الاستعمار ليست المناورات السياسية، وإنّما الجهد المنظم على امتداد الزمن في سبيل تعليم اللغة العربية وتحرير الأمّة الجزائرية من الجهل، ومن هنا بدأت ثورته التعليمية ضد الجهل. (سالم: 1999، ص105) كما أن ابن باديس كان يؤمن إيمانا قويا بأن نهضة الجزائر من كبوتها لن تكون إلا على سواعد شبابها، فعمل على إعداده تعليما وتهذيبا بواسطة مساجد الوعظ ومدارس التربية والتعليم. (ابن باديس: 1983،ص21)

ومن أجل تحقيق هذا المشروع التعليمي كان على ابن باديس إيجاد المكان الذي يتم فيه التعليم، إلا أن ابن باديس وجد صعوبات تخص أماكن التدريس، وفتح مدارس للتعليم،

فقد حالت القوانين الاستعمارية الفرنسية في الجزائر دون منح أي تراخيص لفتح أي مدرسة عربية إلاّ وفق شروط تعجيزية منها: (مقيل: 2003، ص255)

- اقتصار التعليم على تحفيظ القرآن الكريم وحده.
- عدم التعرض بأي صورة من الصور إلى تفسير القرآن الكريم، خاصة الآيات التي تحضُّ على الجهاد في سبيل الله وتخليص البلاد من الظلم.
- شطب التاريخ الجزائري والتاريخ العربي الإسلامي من المناهج الدراسية، بالإضافة إلى جغرافية الجزائر وجغرافية العالم العربي الإسلامي.
- إلغاء مقرر الأدب العربي بسائر فنونه وعصوره.
- يقتصر التعليم في المدارس الرسمية على اللغة الفرنسية.

لهذا كان من الضروري انعقاد مؤتمر المسلمين الأحرار تحت إشراف جمعية العلماء المسلمين، لتبادل الآراء فيما يهمّ التعليم العربي الحر، ومدارسه ومساجده ونظمه وأساليبه، والغاية المنشودة من ذلك هي التوصل إلى توحيد مناهج التعليم العربي، وتكون آراءهم فيما يلي: (الميلي: 2007،ص148)

- وسائل توحيد التعليم.
- أسلوب التعليم.
- أسلوب تربية الناشئة.
- خلاصة تجاربهم في التربية والتعليم.
- الكتب وهل الأحسن اختيار كتب مصرية أو تأليف كتب تتفق مع الروح الجزائرية.
- رأيهم في تعليم البنت المسلمة ووسائل تحقيقه.
- التعليم المسجدي ووسائل تنظيمه وترقيته.

ويعد تمسك ابن باديس بالإسلام والدفاع عنه، مبدأ اتخذه في نفس الوقت للدفاع عن اللغة العربية، لغة القرآن الكريم ولغة الإسلام، لذلك عمل جاهدا على الحرص على حمايتها،

والحفاظ عليها والعمل على تعليمها. إذ تعدّ اللغة العربية مقوم أساسي ضمن مقومات الشخصية، وثابت من ثوابت الأمّة، والتعبير عن الهوية، حيث تعتبر الوعاء الحاوي للثقافة ووسيلة التفكير الذي يحدد رؤية العالم ونواميسه، لذلك شكلت معرفتها أهم ركيزة لتحصين الهوية والذات، والشخصية والدفاع عنها واجب ضرورة يضمن للأمة استمراريتها، ويحفظ بها مكانتها المنوطة بها بين الأمم الأخرى. (علي: 38، ص145)

وانطلاقا من هذه النظرة النافذة إلى دور اللغة العربية، ومكانتها في تاريخ المجتمع الجزائري، ومستقبله وفي سائر مقوماته الحضارية، قضى الشيخ عبد الحميد بن باديس- رحمه الله- الشطر الأكبر من حياته، وركزّ الجزء الأعظم من نشاطه في العمل الجاد لإحياء اللغة العربية في الجزائر، ونشرها بين الجزائريين الذين عمل الاستعمار على حرمانهم من تعلمها في مختلف المدارس والمراحل التعليمية. (فلوسي: 2005، ص92)

وأثناء تحقيق هدف تعليم اللغة العربية والحفاظ عليها، أدرك ابن باديس أنّ الفرد المسلم هو محور العملية التعليمية، من هنا شرع في الاهتمام بإصلاح هذا الفرد، لأنّ صلاح المجتمع لا يكون إلاّ بصلاحه. لهذا اختصّ ابن باديس بنوعين من التعليم -كانا الأساس في التغيير الجذري لعقلية الفرد الجزائري بالتخلي عن ثقافة الغرب، والتمسك باللغة العربية لغة القرآن الكريم- وهما كالتالي: (سالم: 1999،ص109)

1.التعليم الديني المسجدي: وهو يتشابه مع نظام تعليم المعاهد الأزهرية بمصر والزيتونة بتونس، والقرويين بالمغرب. وقد استخدم هذا النمط التعليمي طريقة الإلقاء والمحاضرة والحوار والسؤال في تدريس الأدب العربي، البلاغة، تفسير القرآن الكريم وشرح الحديث.

2.التعليم المدرسي الأصلي: هو تعليم ذو صبغة دينية ولغوية، وهو يضمّ نوعين من الأطفال:

- النّوع الأوّل: هم الأطفال الذين يتابعون دراستهم بالفرنسية، ويحضرون لتلقي اللغة العربية والقرآن الكريم والدين.

- النّوع الثّاني: هم الأطفال الذين لا يدرسون، ويتابعون مناهج المدرسة العربية.

لقد تنوعت مجالات الإصلاح والتجديد عند ابن باديس بتعدد نشطات الحياة الإنسانية، وكان أبرزها الاصلاحات التالية: (الجزار: 1999، ص64)

أولا: الإصلاح الديني والخلقي: ولأن الدين والأخلاق عاملان لا ينفصلان عند ابن باديس، فقد أولى عناية كبيرة لغرسهما في نفسية الفرد المسلم الجزائري.

ثانيا: الإصلاح العلمي: بعد أن حققت الحركة الإصلاحية الإصلاح الديني والخلقي بين جموع المسلمين في القطر الجزائري بتطهير العقول من دنس الخرافات، أصبحت العقول مهيأة لاستيعاب رسالة الحركة الإصلاحية في الإصلاح العلمي، وهذا ما سهرت جمعية العلماء المسلمين على تحقيقه.

ثالثا: الإصلاح السياسي: وكان من خلال دعوة ابن باديس للمحافظة على مقومات الأمة الجزائرية، وهو ما يسمى عند ابن باديس بالجنسية القومية، ومجموعها اللغة والعقيدة الدينية والذكريات التاريخية.

ومن أجل تحقيق مشروعه التعليمي، اختار ابن باديس أسلوبا خاصاً به في تعليم الكبار والصغار، معتمداً على منهج يسير وفقه لتحقيق الإصلاح التربوي.

3. منهج ابن باديس في الإصلاح التربوي:

لقد كان توجه ابن باديس إلى طريقة التربية والتعليم للإصلاح في الجزائر، نتيجة الطريق المسدود الذي وصل إليه الإسلام الجهادي والإسلام السياسي في الجزائر. (مقيل: 2003، ص239) فقد كان الهدف التربوي عند ابن باديس يكمن في:

- تأهيل الشعب العربي الجزائري وتنمية قدراته العقلية والاجتماعية والخلقية والاقتصادية والسياسية، لكي يتوصل إلى حياة أفضل في مجتمع أفضل.

- الدفاع عن الشخصية الجزائرية والحفاظ على خصوصية الشكل التاريخي، الذي لا علاقة أصلا لفرنسا به لا من قريب ولا من بعيد. (سالم: 1999، ص99)

ولقد تمكن ابن باديس بواسطة التعليم والتربية الدينية أن يضع إطارا تربويا يعتمد على الهدم والتحصين من خلال:

- هدم ما تسرب إلى العقلية الجزائرية من ثقافة تدفعها إلى الخضوع للبدع، والأباطيل أو القبول بالذوبان في حضارة الغرب.

- تحصين الفرد في مواجهة تغريبه وتأمين قدرته على الصمود ضد التغريب وضدّ البدع. (سالم: 1999، ص101)

ولقد شرع الامام ابن باديس في العمل التربوي، وانتهج في دعوته منهجا يوافق الإصلاح الديني في البعد والغاية، وإن كان له طابع خاص في السلوك والعمل، يقوم على ثلاثة محاور تتمثل في:

1.اصلاح عقيلة الجزائريين ببيان التوحيد.

2.اصلاح عقلية الجزائريين بالتربية والتعليم.

3. اصلاح عقلية الجزائريين والعناية بتطهير باطن الفرد وتهذيب النفوس وتزكيتها. (فركوس: 2014، ص14)

ومن القواعد التي اعتمد عليها ابن باديس في التغيير، والتي تعد في الوقت نفسه أسس منهج التغيير نذكر ما يلي: (فلوسي: 2005، ص98)

1.التزام منهج الأنبياء في التغيير.

2.التزام الكتاب والسنة في الوسائل والأهداف.

3.مراعاة الموازنة والترتيب بين الأولويات.

4.التزام المشاورة والعمل الجماعي المنظم.

5.دراسة الوسائل المتاحة وتوظيف الأنجع منها.

ويمكن توضيح منهج ابن باديس في الإصلاح التربوي من خلال: اصلاح المناهج، دور جمعية العلماء المسلمين، إعداد المعلم، محتوى أو جوهر الدروس التعليمية، التي كان يلقيها ابن باديس على طلبته، وأخيرا تعليم المرأة الجزائرية.

أولا: إصلاح المناهج:

أدرك ابن باديس أن إصلاح التعليم يبدأ بإصلاح المناهج، لذلك اهتم بهذا الأمر وأعطاه عناية خاصة على غرار أمور أخرى سوف نأتي إلى ذكرها لاحقا. إذ أن الإصلاح في مفهومه" هو إرجاع الشيء إلى حاله اعتداله بإزالة ما طرأ عليه من فساد". فقد لاحظ ابن باديس أن المناهج والبرامج المتبعة في زمانه، ليست في حالة اعتدال سواء في صورتها أو مادتها لإهمالها كثيرا من المبادئ الخالدة، التي جاء بها الإسلام. لهذا رأى ضرورة إعداد المناهج المناسبة لتنشئة أجيال المستقبل وتربيتها التربية الصالحة. (حميداتو: 1997، ص134)

ولقد انتقد ابن باديس طرق التدريس التي كانت متبعة في جامع الزيتونة، وبيّن أنّها ليست وسيلة تؤدي إلى تحقيق الغرض من التربية، بل إنما تكون ثقافة لفظية يهتم أصحابها بالمناقشات اللفظية العقيمة طوال سنين الدراسة، ورأى بأن التفسير وكأنما يدرس من أجل تطبيق القواعد، لا من أجل فهم الشرائع والأحكام. وهذا ما اعتبره ابن باديس هجراً للقرآن مع أنّ أصحابه يحسبون أنفسهم أنهم يخدمون القرآن. (الطالبي: ص108)

ومن أجل تحقيق الأهداف التربوية المرجوة- والتي من بينها محاربة الأفكار الفاسدة والتغريب- اقترح ابن باديس جملة من التغيرات تتضمن أفكارا تتعلق بمناهج التعليم وطرائقه تتجسد فيما يلي:

1. **اللغة العربية**: ويشترط في تدريسها تطبيق قواعدها على الكلام الفصيح لتحصيل الملكة.
2. **الأدب العربي والإنشاء:** يعلم حسن الأداء في القراءة وإلقاء الكلام.

3. العقائد: ويجب أن تؤخذ مع أدلتها من القرآن الكريم.

4. الفقه: يجب أن يقتصر على المسائل دون تشعباتها، ثم يترقى إلى ذكر بعض أدلتها.

5. أصول الفقه: على المتعلم أن يتعلم المسائل المجردة ثم يترقى إلى تطبيقها على المسائل الفقهية.

6. التفسير: يعرض تفسير الجلالين على المتعلم بشرط أن يشرح الأستاذ الأشياء، التي تحتاج إلى شرح من مفردات ومعان غامضة.

7. الحديث: يدرّس بنفس طريقة تدريس التفسير.

8. التربية الخلقية: ويعتمد في تدريسها على الآيات والأحاديث، وعلى آثار السلف الصالح.

9. التاريخ الإسلامي: ويدرس باختصار.

بالإضافة إلى كل هذه العلوم يدرّس كذلك **الحساب، الهندسة، الفلك، مبادئ الطبيعة والجغرافيا** بجميع أقسامها. (سالم: 1999، ص101-102)

ولتحقيق هدف اصلاح المناهج، كان ينبغي أن تقوم جمعية العلماء المسلمين بدورها أنذاك، من خلال الاهتمام بالتعليم بصفة عامّة وبطرائق ومناهج التعليم على وجه الخصوص، مع التركيز على التعليم العربي الإسلامي، لأنّ الإسلام هو دين الأمّة الجزائرية.

ثانيا: من جمعية التربية والتعليم الإسلامية إلى جمعية العلماء المسلمين:

تعد جمعية التربية والتعليم الإسلامية أول جمعية إسلامية تعنى بالتربية والتعليم في قسنطينة، إذ كان مكتب التعليم العربي النواة الأولى التي انبثقت عنها هذه الجمعية التي اختارت الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيساً لها. ولقد اهتمت هذه الجمعية بالنشاط التربوي والتعليم بوجه خاص، ذلك لأهمية هذا القطاع وحيويته بالنسب لمستقبل الأمة، وتماشيا مع ما تتطلبه تلك المرحلة من أولويات وبعدها، جاء تأسيس جمعية العلماء المسلمين التي

وسّعت نشاطها ليشمل جوانب أخرى من حياة الأمة. (حميداتو: 1997، ص92) كما ركزّت جمعية العلماء المسلمين عملها في ثلاث محاور هي:

- تطهير الدين الإسلامي من البدع والخرافات، والعمل على إحياءه.
- التعليم العربي الإسلامي.
- الوطن الجزائري بكل تراثه الثقافي والحضاري والتاريخي. (علي: 38، ص56)

ثالثا: المعلم إعداده وصفاته عند ابن باديس:

لقد أدرك الشيخ عبد الحميد بن باديس أن المعلم هو الركن الأساس في العملية التعليمية، وأي مدرسة تهتم بتحقيق أهداف تعليمية وتربوية معينة، عليها أن تنتقي معلميها بدّقة، أو تعدّهم وتكونهم التكوين المناسب لتحقيق تلك الأهداف. فإصلاح المعلم وإعداده هو إصلاح للمتعلم وتصويب للعملية التربوية برّمتها.

وما ميّز المعلمين في عصر ابن باديس هو ضعف مستواهم سواء في ثقافتهم العامة، أو إلمامهم بفروع المعرفة التي يدرسونها. لهذا أعطى ابن باديس اهتماما بالغا بالمعلم، ورأى أن من صفات المربي المسلم أن يكون متمكنا من العلوم والفنون، التي يدرسها ملما بمبادئ فن التعليم، قادرا على تفهّم نفسيات المتعلمين، وأن ينزه العلم عن المطامع الدنيوية عاملا بعلمه صادقا في عمله. (علي: 38، ص148) ومن أجل ذلك اقترح ابن باديس جملة من الاقتراحات التي تخصّ تكوين المعلمين، وذلك بهدف إنجاح العملية التعليمية منها ما يلي:

- التوسع في دراسة العلوم التي يقومون بتدريسها بعد تخرجهم.
- دراسة كتب التربية وعلم النفس.
- التربية العملية أو التمرين الفعلي على التدريس بالقيام به فعلا. (سالم: 1999، ص102)

ولأن ابن باديس في بداية دعوته لم يكن له برنامج لإعداد المدرسين وتكوينهم في معاهد خاصة، فقد استعان في ذلك بالطلبة المتفوقين أو الذين تخرّجوا من بعض الزوايا المشهورة مثل زاوية الهامل وغيرها. (حميداتو: 1997، ص147) كما قام ابن باديس بإرسال البعثات العلمية إلى الجامعات والمعاهد العليا في البلاد الإسلامية مثل جامع الزيتونة وجامع الأزهر وغيرها.

رابعا: جوهر الدروس التعليمية:

لقد كان ابن باديس يؤمن بفلسفة تربوية تستمدّ أصولها من القرآن الكريم خاصة، ومن الفكر الإسلامي عامة، لهذا تضمنت الدروس التعليمية التي كان يلقيها الشيخ عبد الحميد بن باديس تفسير الكتاب الحكيم وتجويده، وتفسير الحديث الشريف بالإضافة إلى الفقه في المختصر وغيره، وعلى العقائد الدينية، وعلى الآداب، والأخلاق الإسلامية، وعلى العربية، وفنونها من نحو وصرف، وبيان وأدب، وعلى الفنون العقلية كالمنطق والحساب وغيرها. (الميلي: 2007، ص129)

والذي ساعد ابن باديس على اختيار دروسه التعليمية بكل عناية، هو أنه كان مفسرا سلفيا يراعي مقتضيات العصر معتمدا على بيان القرآن، وبيان السنة، وعلى أصول البيان العربي وسننه، والنفاذ إلى لغة العرب وآدابها، وقوانين النفس البشرية وسنن المجتمع الإنساني، وتطور التاريخ والأمم. (الطالبي، ص108)

ولعّل هذا التنوع الذي لاحظناه في محتوى الدروس التعليمية، التي كان يلقيها ابن باديس على طلبته ساعد ابن باديس على النهوض بالأمّة الجزائرية من كابوس الجهل والظلام إلى فسحة العلم والنور، ومكّن من التطور الفكري للمجتمع الجزائري فيما بعد.

خامسا: تعليم المرأة:

لقد اهتمّ ابن باديس بتعليم المرأة المسلمة اهتماماً كبيراً، مدركا الخطر المحذق بالأمّة إذا تركت المرأة بغير تعليم. فقد منعت الأسرة الجزائرية البنات من الذهاب إلى

المدارس الحكومية، لأنّ القائمين عليها ليسوا مسلمين، ومنعت من الذهاب إلى التعليم في الكتاتيب الحرّة. وبقي الحال هكذا إلى أن ظهرت بوادر الحركة الإسلامية، فنادى ابن باديس بضرورة تعليم البنات دون الاختلاط بالذكور. (حميداتو: 1997، ص105)

فقد تحمس ابن باديس إلى تعليم المرأة الجزائرية من وجهة نظر الشرع الإسلامي لها ولوظيفتها في المجتمع، ودورها في الحياة، فهي مدرسة الأجيال ومن أجل تشجيعها على التعليم، تمّ إقرار مجانية التعليم. فالمرأة الجزائرية في عصر ابن باديس لا تخلو من أحد أمرين: (سالم: 1999،ص108)

الأمر الأول: محرومة نهائيا من التعليم بحيث لا تعرف قراءة وكتابة.

الأمر الثاني: متعلمة تعليماً أجنبيا سطحيا يعمل على استخفافها بعروبتها، إسلامها، وتقاليدها الاجتماعية فتصبح بالتالي متنكرة لأصلها وعروبتها وإسلامها، وهذا ما يرفضه الشيخ ابن باديس في المرأة الجزائرية خاصة، والمرأة الإسلامية بصفة عامة.

فمن أجل ذلك رأى ابن باديس أن تعليم المرأة مسألة لا تحتمل الانتظار، سواء بالنظر إلى حقها في التعليم ككل البشر، أي كإنسان أو بالنظر إلى ضرورة النهوض بها لأداء وظيفتها الاجتماعية، باعتبارها من أهم عوامل التطور الاجتماعي، أو بالنظر إلى ضرورة الإسراع بتعليمها تعليماً إسلامياً، لتحصينها أخلاقياً قبل أن تكون ضحية لسياسة الاستعمار التربوية. (علواش: 1983-1984، ص114)

الملاحظ أنّ كل النقاط التي تحدثنا عنها، والتي تخصّ منهج وطريقة ابن باديس في تحقيق إصلاحه التربوي بما فيه: اصلاح مناهج التعليم وطرائقه، إعداد المعلم وتكوينه، محتوى الدروس التعليمية، إلى جانب تعليم المرأة، هي محاور أساسية كان لابد من معالجتها من أجل اصلاح التعليم وترقيته بهدف خدمة المصلحة العامّة للشعب الجزائري، وتوعيته والتخلص من قيود المستعمر الفرنسي.

4. خاتمة:

بناء على ما سبق تمكّنا -في نهاية هذه الورقة البحثية-من الخروج ببعض النتائج التي اختصرناها في النقاط التالية:

- يعدّ العلاّمة الشيخ عبد الحميد بن باديس موسوعة علمية، وشخصية بارزة في قائمة العلماء المسلمين الجزائريين في العصر الحديث. فقد كان رمزا لطلب العلم وطمس معالم الجهل في المجتمع الجزائري.

- شخصية ابن باديس شخصية غنية وثرية، ومن الصعوبة في حيّز ضيق من الكتابة الإلمام بكل أبعادها وآثارها، فهو عالم مجدد ومصلح يدعو إلى نهضة المسلمين، كما أنّه عالم مفسّر فسّر القرآن كلّه خلال خمس وعشرين سنة في دروسه اليومية، وفسّر الحديث الشريف، لقد كان ابن باديس سياسياً وصحفياً أنشأ العديد من المجلات أبرزها مجلة البصائر، الشهاب...إلخ. كان يكتب في المجلات والجرائد التي أصدرها عن واقع المسلمين خاصة في الجزائر، ويهاجم فرنسا وأساليبها الاستعمارية. ولا ننسى أنّه مصلح تربوي واجتماعي، وله اطلاع بخبايا علم النفس...

- تنوعت مجالات الإصلاح والتجديد عند ابن باديس، فمنها الإصلاح الديني والخلقي، الإصلاح العلمي والإصلاح السياسي.

- انتهج ابن باديس منهجا اصلاحيا تربويا خاصا يتلاءم مع المرحلة التي كانت تعيشها الجزائر في تلك الفترة، لهذا نجده قد اهتمّ بنقاط مهمّة منها: اصلاح المناهج، الاعتماد على الدور التعليمي لجمعية العلماء المسلمين، إعداد المعلم وضبط شروط التحاقه بميدان التعليم، الاهتمام بمحتوى الدروس التعليمية، لأنّها أساس عملية الإصلاح، بالإضافة إلى تعليم المرأة الجزائرية من مبدأ:

الأمُّ مدرسة إذا أعددتها * أعددت شعباً طيّب الأعراق**

- من خصائص التعليم عند ابن باديس:

1. تمسكه بالسلام والدفاع عنه من خلال تعليم اللغة العربية والحفاظ عليها باعتبارها لغة القرآن الكريم، وهي مقوم أساسي ضمن مقومات الشخصية، وثابت من ثوابت الأمة والتعبير عن الهوية.

2. الاهتمام بصلاح الفرد المسلم الذي يعدّ محور العملة التعليمية، لأن شعاره هو "صلاح الفرد من صلاح المجتمع".

3. إتباع نوعين من التعليم هما: التعليم الديني المسجدي، والتعليم المدرسي الأصلي.

4.الاهتمام بتعليم كل فئات المجتمع الأطفال منهم والكبار.

وفي الختام أتمنى أن أكون قد أجبت عن الأسئلة، التي طرحتها في بداية هذه الورقة البحثية، وأتمنى أن تلقى شخصية العلاّمة الشيخ عبد الحميد ابن باديس اهتماما بالغا بالدراسة بين الطلبة والباحثين، من أجل الكشف عن الجوانب الخفية من موسوعة علمية اسمها عبد الحميد ابن باديس.

5. قائمة المراجع:

ابن باديس، عبد الحميد(1983). *مجالس التذكير من حديث البشير النذير*. (ط1). مطبوعات وزارة الشؤون الدينية.

إسماعيل علي، سعيد. (السنة 38) .*جهود ابن باديس في الحفاظ على الهوية الإسلامية العربية للجزائر عن طريق التعليم*. مجلة أبحاث المسلم المعاصر. (ع149).

الجزار، أحمد محمود. (1999) .*الإمام المجدد ابن باديس والتصوف*. . (ط1).منشأة المعارف.

حميداتو، مصطفى محمد. (1997).*عبد الحميد وجهوده التربوية*. (ط1). وزارة الأوقاف والشؤون الدينية.

سالم، محمد بهى الدين. (1999). *ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير*. (ط1). دار الشروق.

الطالبي، عمار. *آثار ابن باديس-تفسير وشرح أحاديث*- لمجلد1.الشرعية الجزائرية الحاج عبد القادر بوداود.

علواش، علي. (1983-1984).*حركة ابن باديس التربوية وأهدافها الإصلاحية* (أطروحة دكتوراه غير منشورة). معهد العلوم الاجتماعية. جامعة الجزائر.

فركوس، أبي عبد المعز محمد علي. (2014) . *تحفة الأنيس-شرح عقيدة التوحيد للإمام ابن باديس رحمه الله*-(ط1).دار العواصم.

فلوسي، مسعود. (2005) .*الإمام عبد الحميد بن باديس-لمحات من حياته وأعماله وجوانب من فكره وجهاده-*. (ط1). دار قرطبة.

مقيل، فهمي توفيق محمد. (2003،مارس) *عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والنهضة في تاريخ الجزائر الحديث*. مجلة الدرعية. (ع20).

منير الجزائري، أبي عبد العزيز.(2017). *المنتقى النفيس من جميل كلام الإمام عبد الحميد بن باديس*. (ط1). دار الفرقان.

الميلي، محمد. (2007). *ابن باديس وعروبة الجزائر*. منتدى سور الأزبكية، وزارة الثقافة.